مجلة متيجة للدراسات الإنسانية
المجلد 9 العدد 01 الشهر 6 السنة 2022 PISSN: 2602-5639 - EISSN: 2830-8972

الرؤية السياسية والاجتماعية للمغرب الأوسط في الكتابات الاوروبية خلال القرن 10هـ-16م

(كتاب إفريقيا لمارمول كاربخال أنموذجا)

The Political and Social Representation of the Central Maghreb in European Writings from the 10th to the 16th Century AH: *Africa* by Marmol Carvajal as a Case Study

ط/د. قرمال عبد القادر

مخبر البحوث التاريخية والحضارية

karmelabdelkadir@gmail.com

د. مراد تجنانت

جامعة البليدة 2- لونيسي علي-

mourad.tadj@gmail.com

الملخص:

عرف المغرب الأوسط الكثير من الرحالة والمؤرخين الذين زاروا المنطقة لأغراض مختلفة، وأدرجوا في كتاباتهم مؤلفاتهم أخبارا ومعلومات مصدرية مست مختلف الجوانب السياسية، الاقتصادية، العلمية، والاجتماعية، حيث تعتبر مؤلفاتهم مهمة في الدراسة التاريخية للمغرب الأوسط.

ومن بين هؤلاء مارمول كاربخال، وسنحاول في هذا العمل التعريف به، مع التركيز على كتابه إفريقيا من خلال الوقوف على آرائه في مجتمع المغرب الأوسط، ومواقفه من أهم القضايا التي عاصرها خلال القرن 10هـ/16م، وتوضيح خلفيات كتاباته التاريخية.

الكلمات المفتاحية: مارمول كربخال؛ كتاب إفريقيا؛ المصادر الأجنبية؛ المغرب الأوسط.

Abstract:

The Middle Maghreb knew many travelers and historians who visited the region for different purposes, and included in their writings news and source information that touched on various political, economic, scientific, and social aspects.

One of those travelers Marmol Karvajal, This work introduces him, with a focus on his book Africa by standing on his views on the Middle Maghreb society, and his positions on the most important issues he experienced durring the 10th AH/16th century AD, and clarifying the backgrounds of his historical writings.
Keywords : Marmol Karvajal ; Africa book ; Foreign sources ; Middle Maghreb.

مجلة متيجة للدراسات الإنسانية
PISSN: 2602-5639 - EISSN: 2830-8972 المجلد 9 العدد 01 الشهر6
السنة 2022

1. **مقدمة:**

يعتبر مارمول كاربخال من أشـــهر المؤرخين والرحالة الجغرافيين الذين عرفهم الغرب الإســـلامي خلال القرن 10ه/16م، وذلك لما تركه من ارث تاريخي وجغرافي نفيس؛ يتعلق بتاريخ الغرب الإســـلامي، ولعلّ أحد أبرز أعماله (كتاب إفريقيا)، الذي هو محل دراستنا، ومن خلال هذا نطرح الإشكالية التالية: من هو مارمول كاربخال؟ وما هي أهمية كتابه إفريقيا في دراستنا لتاريخ المغرب الأوسط؟ وماهي رؤية مارمول كاربخال للأحداث السياسية بالمغرب الأوسط في عصره من خلال كتابه إفريقيا؟ وما خلفية ودواعي نزعته التاريخية تجاه المغرب الأوسط يا ترى؟

2. **التعريف بمارمول كاربخال:**

أ. مولده ونشـــأته: ولد مارمول كاربخال (Marmol Karvajal) في مدينة غرناطة (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صـفحة 4)، وقد اختلفت الروايات والمصـادر حول تاريخ ولادته، لكن الأرجح كما جاء في مقدمة المترجمين كان في ســنة 1520م، وهو ما ذهب إليه كذلك الدكتور جعفر ابن الحاج الســلمي اســتنادا على قول مارمول حين قال (خرجت من مسـقط رأسـي غرناطة وأنا ما أزال في ميعة الشـباب؛ لأشـارك في الحملة الحربية الكبرى التي قام بها شـارل الخامس ضـد مدينة تونس، فقد كان ابن خمسـة عشـر سـنة فهو قادر على حمل السـلاح ومغادرة الوطن، فلا شـك أنه يكون قد ولد عام 1520 على الأقل (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 8).

كان والدا مارمول إسبانيين نصرانيين، ممن وفد على غرناطة بعد سـقوطها في يد الكاثوليكيين سـنة 1492م، وقد كان والده بيدرو Pedro رجلا مرموقا ذو مكانة في غرناطة معدودا من طبقة أعيانها والمتعلمين بها، إذ كان بها كاتبا في مجلسها، أما أمه فلا ندري عنها شيئا سوى أنها لم تكن زوجة شرعية لأبيه (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 8)، وهذا يعني أنه لم يعترف به أبوه إلى بعد أن كان عمر مارمول قد بلغ الثامنة، ولا شـــك في أن تنكر أبيه له كان من وراء تبكيره باختيار الخدمة في الجيش بدلا من الإقبال على العلم، إذ كانت خدمة تمكنه من الهجرة والتنقل والابتعاد عن غرناطة حيث يعرف الناس جميعا أنه ابن ســـفاح بقدر ما تمكنه من المجد ورفعة المكانة (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 9).

التحق مارمول كاربخال يافعا بالجيش الإسـباني حيث يقول عن نفسـه (خرجت من مسـقط رأسـي غرناطة وأنا ما أزال في ميعة الشباب لأشارك في الحملة الحربية الكبرى التي قام بها شارل الخامس ضد مدينة تونس ولما سقطت هذه المدينة المحصـنة بقيت أعمل تحت راية الإمبراطور في أقطار إفريقيا كلها مدة عشـرين سـنة متعرضـا لكل ما جرى من أحداث عظيمة تستحق الذكر) (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 9).

اشتغل مارمول ضابطا في جيش الإمبراطور شارل الخامس وهو حديث السن، شارك في الحملة التي شنها شارل الخامس على تونس عام 1535م، وبعد مغادرة الأسـطول الإمبراطوري لتونس بقي مارمول في شـمال إفريقيا يقوم بمهمة كلفه بها شارلكان وطال مقامه نحو إثنين وعشرين سنة (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 4)

تم أسـر مارمول خلالها من طرف الشـرفاء السـعديين وبقي عندهم أسـيرا سـبعة أعوام وثمانية أشـهر يسـير في ركابهم أين سـاروا عبد بلاد السـوس الأقصـى والصـحراء، وفي منطقتي فاس وتلمسـان، عاصـر مارمول ثلاثة من ملوكهم هم: أحمد الأعرج(ت965هـ-1557م)، محمد المهدي الشـيخ(ت964هـ-1557م)، عبد الله الغالب (ت982هـ-1574م) ووصـف عن مشـاهدته لهم وعلاقتهم مع الوطاسـيين، ملوك فاس وأتراك الجزائر..؛ لذلك فإن أسره بالمغرب كان من سـنة 959هـ إلى 966هـــ/ 1552م – 1559م (بوتدارة ، 2016، صـفحة 299)،حيث اسـتغل مارمول هذه المدة من الأسـر لتعلم اللغة العربية وجمع معلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد المغرب الإسلامي.

ب. مهمته التجسسية:

يذكر المترجمون لكتاب " إفريقيا" أن مارمول كاربخال بقي جاسوسا يستطلع الأخبار والأحوال مدة بقائه في المغرب، للتعرف على مواطن الضعف فيها وتسهيل مأمورية جيش الإمبراطور الذي كان يسعى للهجوم على سائر أقطار شمال إفريقيا وإعادة ما قام به بتونس لتحقيق أمنية بطانته الكنيسة في القضاء على الإسلام بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط وإحلال النصرانية محله (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 14).

إن المهمة التي كلف بها مارمول من قبل شارلكان في إفريقيا وعلى الرغم من عدم الإفصاح عنها هي مهمة إستخباراتية تجسسية بالدرجة الأولى نظير أسره وتعلمه اللسان العربي ومعرفته بالمنطقة، وهذا كله قصد تسهيل مأمورية جيش الإمبراطور شارل الخامس (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 5).

ومن الأدلة التاريخية التي تؤكد المهمة التجسسية لشخصية مارمول كاربخال بشمال إفريقيا ما جاء عند الراهب الإسباني فيرناندو دي كونطريراس Firnando Di Contriras في رحلته الثانية إلى فاس 1539/- 1540م/ 946هـ- 947هـ أين أصبحت له مكانة لدى السلطان أحمد الوطاسي (ت957 هـ/1549م) بعدما قدم له معلومات حول الأخوين السعديين لمدينة آسفي أحمد الأعرج ومحمد المهدي الشيخ وفشل حصار السعديين لمدينة آسفي، حتى سمح له السلطان الوطاسي بافتداء الأسرى دون أن يمنح ثمنهم في الحين، فهذه المعلومات من هذا الراهب الإسباني من أين له أن يحصل عليها إن لم يكن مارمول ومن على شاكلته؛ وما يعزز فرضية النشاط التجسسي لكاربخال خلال هذه الفترة للإسبان ما كتبه راهب آخر يدعى نيكولا كلينارد Nicholas Clénard (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 5)؛ الذي أقام سنتين بفاس 1540م- 1541م/ 947هـ- 948هـ، وجاء لغرض تعلم اللغة العربية ودراسة كتب أهل التوحيد؛ حتى يتسنى له الرد على المسلمين ومهاجمتهم بلغتهم، ومن بين رسائله الخمس عشر التي وقف عليها المؤرخ الفرنسي لوطورنو، رسالة وجهها كلينارد إلى شارلكان أواخر سنة 1541م بعد رجوعه من الرحلة المغربية، الأمر الذي يدل على الدعم الكنسي للإمبراطور الكاثوليكي، وهنا لا محل لأي شك في أن مارمول كان على نفس شاكلة هؤلاء الرهبان المسيسين ومتشبعا بعقليتهم وكراهيتهم للإسلام (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 6).

ج. علاقته بالكنيسة:

كان مارمول كاربخال وفيّا جدا للكنيسة النصرانية الإسبانية، فمن خلال كتاباته يشيد بالعقيدة الكاثوليكية ويؤذي المسلمين والإسلام اذى شديدا، وهذا تقربا للكنيسة الإسبانية صاحبة النفوذ الأكبر في زمنه فهي التي ترفع وتخفض وتعز وتذل (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 8).

ولأجل عقيدته النصرانية ترجم كتاب إلهام الجيش المقدس، كما ذيل كتاب صلوات القسيسين الرومان (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 5).

وقد اتسمت كتاباته بالعداء للإسلام وهذا دليل منطقي على شدة تمسكه بالإيمان المسيحي والتعصب للمسيحية مليء بالحقد والتحامل على المسلمين وتاريخهم، فإلا وذكر المسلمين فيذكر الهزيمة لا تكاد تنفك عنهم، والنصر غالبا في جانب النصارى ومتشبعا بالروح الملحمية الأسطورية (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 22).

إنّ مبالغة مارمول في إظهار العداء للإسلام والمسلمين إنما في الحقيقة حتى يدفع الشبهة عن نفسه ويحميها من شر الكنيسة وشر محاكم التفتيش، فالويل له ثم الويل إن ثبت تخليه عن النصرانية، فالمبالغة في العداء للإسلام هو قصد دفع الشبهة عن نفسه وتأكيد ولائه للكنيسة النصرانية الكاثوليكية (قطب، 1987، صفحة 16).

ت. عصره:

عاش مارمول كاربخال في القرن 10هـ/ 16م، حيث كان عصره مليئا بالاضطرابات السياسية على بلاد المغرب الإسلامي.

لقد كان الوضع العام بالمغرب الإسلامي تحديدا يشهد ضعفا وتفككا (حساني، 2009، صفحة 45)،خاصة ما تعرضت له المنطقة من الغزو البرتغالي والإسباني لشواطئ بلاد المغرب الإسلامي والذي بدأ بمعاهدة ألكاثوفاس في 4 سبتمبر 1479/ 874هـ حيث تنازلت مملكة قشتالة عن حقها في غزو المغرب للبرتغال (بلالي ، 2017، صفحة 8)، أين اعترف فيها الإسبان بسيطرة البرتغاليين على الموانئ المغربية وبعض الجزر القريبة من الكناري، وقد تعززت هجمات الإسبان والبرتغاليين على

المغرب الإسلامي بعقد إتفاقية ثورديسلاس Tordesillasسنة 1494م/899هـ بين إسبانيا والبرتغال أين قسمت مناطق النفوذ في البحر المتوسط وأطلقوا أيديهم على أراضي بلاد المغرب الإسلامي (فكاير، 2012، صفحة 25)

كما تميزت نهاية القرن الخامس عشر ميلادي بسقوط غرناطة سنة 1492م/ 897هـ آخر معاقل المسلمين بالأندلس بعد أن شنت إسبانيا حملات واسعة النطاق ضد المسلمين الأندلسيين (كارديناك، 1983، صفحة 27)، الذين هاجروا إلى سواحل المغرب الإسلامي إذ قامت إسبانيا بملاحقتهم (سبنسر، 1980، صفحة 27)، وفي المقابل كانت بلاد المغرب الإسلامي تعيش حالة من الضعف والتفكك والصراعات فيما بين إمارات بلاد المغرب فإنهارت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط نتيجة الفتن (الوزان، 1983، صفحة 304)وصراع القبائل المتمردة على الدولة (ابن خلدون، 1968، صفحة 920) ، وكانت قد سقطت قبلها الدولة المرينية سنة 869هـ/ 1465م (ابن خلدون، 1968، صفحة 244)، وبعدها الدولة الحفصية 982هـ/ 1573م؛ فأصبحت بلاد المغرب عرضة للغزو الإيبيري.

إذن أهم ما ميز الوضع العام الداخلي بالمغرب الإسلامي هو الضعف والاضطرابات والصراعات بينما ما ميز إسبانيا هو القوة وتوحد مملكة قشتالة وأراغون من خلال المصاهرة التي تمت بين فرديناند حاكم أراغون وإيزابيلا حاكمة قشتالة، فتوحدت إسبانيا وحملت على عاتقها مهمة نشر النصرانية بالمغرب الإسلامي (العسلي ، 1986، صفحة 44).

ث. مؤلفاته:

اهتم مارمول بالتأليف والكتابة التاريخية الجغرافية وأمور الدين النصراني (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 25)، كونه عايش عدة أحداث بالأندلس وشمال إفريقيا ونقل روايات نادرة ونفيسة، سمحت له بتسجيل هذه المصادر نذكر منها:

1)كتاب إفريقيا:

ألف مارمول هذا الكتاب بعد إطلاعه على كتاب وصف إفريقيا (العربي، 1972، صفحة 72)، للحسن الوزان ونسج على منواله فصولا كثيرة حرفا بحرف، فنشر هذا الكتاب عام 1573م بغرناطة باللغة الإسبانية ثم تمت ترجمته إلى الفرنسية من قبل الفرنسي دابلونكارت Dibloncart عام 1667م، ثم تمت ترجمته إلى العربية في ثلاثة أجزاء من قبل محمد حجي وآخرون سنة 1984م.

قدم مارمول من خلال كتاب إفريقيا مادة معرفية غنية تشمل بالأخص الجانب الجغرافي من خلال المعلومات التي تعرف جميع مناطق إفريقيا من النيجر ومصر إلى غاية الصحراء الكبرى، إلى جانب المادة التاريخية التي يقدمها الكتاب (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 25)، وسيكون هذا الكتاب موضوع دراستنا في هذا البحث.

2)كتاب وقائع الموريسكيين:

نشر هذا الكتاب سنة 1600م بغرناطة وتمت ترجمته إلى العربية من قبل وسام محمد جزر عام 2012 وقدمه وراجعه جمال عبد الرحمن في جزئين، حيث يروي هذا الكتاب وقائع ثورة المورسكيين (قدور ، 2003، صفحة 172)، التي وقعت بين عامي 1568م/ 1570م احتجاجا على سوء أوضاعهم وإعادة تنصيب ملك مسلم في غرناطة خلال تلك الفترة (كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، 2012، صفحة 3).

ينقل مارمول في هذا الكتاب عدة وثائق لا يتضمنها كتاب آخر وهذا كونه عاش في خضم المشكلة الموريسكية ودون وجهة النظر الرسمية الإسبانية عن الموريسكيين الأندلسيين (كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، 2012، صفحة 8).

3)كتاب تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة:

أصدر مارمول هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء باللغة القشتالية القديمة، وقد نشر الجزئين الأولين عام 1599، ثم بعد وفاته تم نشر الجزء الأخير عام 1600، ليطبع ثانية عام 1852 ومرة ثالثة عام 2001، غير أنه لم يترجم إلى أي لغة أوروبية أخرى (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 31)، وقد ترجم الجزء الأول منه إلى العربية الدكتور جعفر إبن الحاج السلمي وراجعه مصطفى عديلة سنة 2013 ونشر من قبل الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية وجمعية تطوان أسمير.

ذكر مارمول في هذا الكتاب ما وقع من احتدام القتال بين الأندلسيين المسلمين وبين الجيوش الإسبانية خاصة في الفترة بين 1555م و1598م بغرناطة بما أنه عاش أحداث الثورة وجمع ما يستطيع من الروايات التاريخية والوثائق الأندلسية مثل وثيقة استسلام غرناطة (كاربخال، تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة، 2013، صفحة 37)، ووسائل أخرى ذات قيمة تاريخية.

وقد ألف مارمول كاربخال كتابين آخرين أقل تداولا وشهرة من الثلاث كتب السابقة الذكر، ذات طابع ديني، هما: (إلهام الجيش المقدس) و(صلوات القسيسين الرومان) (بوتدارة ، 2016، صفحة 300)، وهذان الكتابان ما زالا بلغتهما الأصلية لم يتم ترجمتهما إلى لغات أخرى.

ج. وفاته:

ليس عندنا تاريخ مؤكد لوفاة مارمول كاربخال، وكل من يورد تاريخا لوفاته فإنما يستند إلى تاريخ نشر القسم الثاني من كتابه إفريقيا وكتاب تاريخ ثورة وعقاب أندلسي عام 1599م بغرناطة (بن جلون، 1996، صفحة 167)، وهناك رواية تنص على أنه توفي سنة 1600 م في (بلش) مالقة لا بغرناطة (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 24).

وفي جميع الأحوال فإن القول بوفاته عام 1599م ليس مضبوطا بالضرورة وإنما هو مستند إلى تاريخ طبع القسم الثاني من كتاب إفريقيا والذي ليس له فهرس كما هو الحال للقسم الأول، وهذا ما يشير إلى أن مارمول مات أثناء طبع مؤلفه لأن إنجاز الفهرس كان عليه لا على الناشر ونفس الحال مع كتاب تاريخ ثورة وعقاب أندلسي (بن جلون، 1996، صفحة 171).

3. قراءة تحليلية نقدية في مضمون (كتاب إفريقيا) لمارمول كربخال:

أ. مضمون الكتاب:

بالإضافة الى ما ذكرناه عن هذا الكتاب آنفا؛ فإنّ محتوى الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء؛ مفصلة كالآتي:

الجزء الأول: ينقسم الجزء الأول إلى كتابين (بابين)، الكتاب الأول به 39 فصلا، والكتاب الثاني به 40 فصلا، ويحتوي هذا الجزء ما مجموعه 545 صفحة.

يبدأ الجزء الأول بتقديم للمترجمين الخمسة للكتاب تطرقوا فيه لدواعي نشر وترجمة الكتاب وصعوبات ترجمته مع تعريف لشخصية مارمول وطريقة عملهم في الترجمة المتبعة للكتاب، لتتبعها مقدمة المؤلف والتي عرج فيها على مسيرته ومشاركته مع شارل الخامس في حملاته الحربية إلى أن وقع أسيرا بين السعديين، إضافة إلى الظروف التي ساعدته على الاهتمام بكتابة الكتاب.

بعد التقديم ومقدمة المؤلف يأتي الكتاب الأول من الجزء الأول والذي ذكر فيه وصف عام لإفريقيا وممالكها والشعوب التي سكنتها وكل ما فيها من أشياء تستحق الذكر، ثم يأتي الكتاب الثاني الذي يتطرق إلى ملّة محمد صلى الله عليه وسلم (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 135)، وانتشار خلفائه في أوروبا، آسيا وإفريقيا.

الجزء الثاني: يحتوي الجزء الثاني من كتاب إفريقيا على ثلاثة كتب يبدأ بالكتاب (الباب) الثالث الذي يتضمن الأقاليم والمدن والقرى لمملكة مراكش، ثم الكتاب (الباب) الرابع الذي يشتمل على وصف الأقاليم والمدن والقرى بمملكة فاس، وأخيرا الكتاب الخامس الذي تطرق فيه إلى مملكة تلمسان بالمغرب الأوسط والأشياء البارزة التي حدثت فيها، ويضم هذا الجزء 401 صفحة.

.

الجزء الثالث: يحتوي الجزء الثالث على ستة كتب وهي الكتاب السادس الذي ذكر فيه مملكة تونس، الكتاب السابع الذي عرج فيه على نوميديا، الكتاب الثامن والذي خص به ليبيا والصحراء، الكتاب التاسع ويتناول إثيوبيا العليا والسفلى، الكتاب العاشر وتطرق فيه إلى إثيوبيا العليا بلاد الأحباش، الكتاب الحادي عشر فيه ذكر مصر ووصف أقاليمها جغرافيا وتاريخيا، ويضم 416 صفحة.

بنهاية الجزء الثالث ينتهي كتاب إفريقيا الذي ختمه بفهرس الموضوعات متبوع بملحق الخرائط حول ممالك تونس ومملكة ليبيا ومصر وبلاد الجريد، مملكة مالي وبلاد السود.

ب. أهمية الكتاب (قيمته التاريخية) ونقده:

1) أهمية كتاب إفريقيا في تاريخ المغرب الأوسط:

يعتبر كتاب إفريقيا لمارمول كاربخال من المصنفات الهامة في أوروبا خلال القرن 10هـ/ 16م وذلك لمساهمته في التعريف بالكثير من المناطق الإفريقية المجهولة ومزج بين المعلومات الجغرافية والمعارف التاريخية، خاصة وأن في النصف الأول من القرن السادس عشر انشغلت عقول الناس بالأحداث المثيرة البعيدة انشغالا شديدا ولم تعد تهتم كثيرا بإفريقيا خاصة أن نهاية القرن السابق تم اكتشاف عالم جديد من قبل كولومبوس (حمدي ، 1913، صفحة 23)، ويذكر هاريت أن كتاب إفريقيا كان مصدرا غنيا بالمعلومات الجديدة التي كان يتطلع إليها الناس منذ زمن بعيد وظل على مدى قرنين ونصف القرن كتابا مهما لجميع المعنيين بشؤون إفريقيا (هارت، 1988، صفحة 256)، يعد الكتاب مصدرا يؤرخ للحياة الاقتصادية والاجتماعية والبعد التاريخي للمجال الجغرافي بالمغرب الإسلامي.

اهتم مارمول بتقديم معلومات جغرافية ومعارف تاريخية عن المغرب الأوسط التي ذكر ممالكها وأقاليمها في الجزء الثاني حيث تطرق إلى مملكة تلمسان فوصف مدنها ومعرفا بجغرافيتها وتاريخها مثل وهران مستغانم تنس شرشال مليانة المدية المهدية بجاية جيجل والأوراس، مشيرا إلى الوضع الاجتماعي وحالة المهاجرين الأندلسيين.

والتواجد العثماني بالمغرب الأوسط والهجمات الإسبانية على سواحله، ثم في الجزء الثالث من الكتاب كتب عن المغرب الأوسط إذ جاء الكتاب (الباب) السادس بعنوان مملكة تونس والتي عرف بحدودها وواصفا أقاليمها مثل إقليم قسنطينة ما ضمّه من مدن كالقل سكيكدة عنابة ميلة وتبسة، والتي أشار إلى أصل تسميتهم وحدود هذا الإقليم جغرافيا مع التطرق إلى الجانب التاريخي والاقتصادي والاجتماعي، كما جاء في الكتاب (الباب) السابع إقليم نوميديا والذي يضم بعض مدن المغرب الأوسط جنوبا مثل بسكرة ورغلة الزاب توقرت تيكورارين تبلبالت البرج دوسن ودوقة.

تحدث مارمول في الجانب السياسي عن المغرب الأوسط في كتابه إفريقيا، حيث يذكر كل ما يعرفه عن المنطقة وما تعاقب عليها من حكام ويوجز ما حدث في عصره وقبيل عصره سواء الصراع بين القبائل أو هجمات الإسبان والتواجد التركي.

أما الجانب الاقتصادي بالمغرب الأوسط، ذكر مارمول المجاعات التي حدثت بالمنطقة، وإلى حالة الزراعة وأنواع المزروعات والصنائع التي انتشرت به وطرق التجارة.

كما بين مارمول الأحوال الاجتماعية بالمغرب الأوسط وجعلنا نتعرف على طبقات المجتمع والتوزيع السكاني والعادات وتقاليد أهل المغرب الأوسط، كما تطرق إلى الأحوال الثقافية بذكره للمساجد والمدارس والعلماء وبالمقابل المناطق التي كان يخيم عليها الجهل وعدم المعرفة.

إذن قيمة هذا الكتاب وأهميته في دراسة المغرب الأوسط تكمن في أنه يعد مصدرا رئيسيا لا يمكن لأي باحث ودارس لتاريخ وجغرافية المغرب الأوسط الاستغناء عنه، أو عدم التطرق لموضوعاته، كون مارمول أمضى إثنين وعشرين سنة بالمغرب الإسلامي منها ثمانية (08) سنوات أسيرا، ما سمح له الإلمام بمدن المغرب الأوسط ومتابعة تطورات الأحداث من هجرة المورسكيين والهجمات الإسبانية والاستنجاد بالعثمانيين، وكذلك تكمن أهميته في كونه مصدر أجنبي يثير الرغبة في معرفة ما كتبه الأخر عن الغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة ،خاصة و أنه ألف في ظروف تميزت بالحقد الغربي الذي ترجم في استعمار.

2) النقد التاريخي:

يعتبر كتاب إفريقيا أهم المصادر التاريخية لأن مارمول كان شاهد عيان بالمنطقة فجمع في مؤلفه بين تاريخها وجغرافيتها واقتصادها و حالة مجتمعها إلا أن هذا لا ينسينا أن ما يؤخذ على كتاب مارمول هو التعصب للنصرانية وتزييف بعض الحقائق التاريخية، إذ يذكر في مقدمة كتابه "...لم يكن لي قصد في تأليف هذا التاريخ كله إطلاقا إلا تشجيع الدول الكاثوليكية على حمل السلاح ضد المسلمين..." (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 4)، وهو مليء بالكراهية والتحامل على الإسلام ويذكر فقط هزائم المسلمين والحروب والمعارك وأن النصر دوما غالب في جانب النصارى (كاربخال، وقائع ثورة الموريسكيين، 2012، صفحة 22).

ما ميز كتاب مارمول هو الاعتماد على التلميح الموجز دون ذكر التفاصيل والأسماء إلا في القليل النادر وهذا ما يجعل كتاباته كغيره من الكتاب الغربيين والمصادر الأجنبية تحتاج إلى توضيح من المصادر الأخرى سواء العربية أو الأجنبية (بوتدارة ، 2016، صفحة 301).

كما قام مارمول بإستخدام عبارات جارحة تنم عن التحامل على المسلمين من خلال تسمية الأتراك بالقراصنة والأعداء والأكثر من هذا بالكفار فقال "... والأسرى المسيحيين الإسبان الذين كانوا في أسر أولئك الأتراك الكفار... " (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 365).

وقع لمارمول الخلط في مواضع عدة كمواقع المدن وأسمائهم، فأكادير جعلها (رأس ايغير) وكذلك رأس البرج البحري التي سماها بمعافوز، ويليز التي هي هنين (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 26).

3. الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط مطلع القرن 16م من خلال كتاب إفريقيا لمارمول كاربخال:

أ. الغزو الاسباني لسواحل المغرب الأوسط: كان أبو حمو يقدم للملك الكاثوليكي فيرديناند شبه إعتراف وخضوع مقابل مساعدة جنود اسبانيا إياه ضد ابن أخيه (أبو زيان)، وكان رعاياه يكرهونه وكانوا يتمننون الإطاحة به والزج به في السجن ليعتلي العرش ابن أخيه وقد استبشروا خيرا عند سماع خبر استيلاء بربروس على الجزائر وتمنوا رؤيته بتلمسان ليطلق سراح الأمير الشاب ونتيجة لهذا إضطر أبو حمو أن يلتمس من الكاردينال خيمينيس François Khimenis (العسلي ، 1986، صفحة 45)، حاكم إسبانيا أنذاك أن يجند أسطولا ضد بربروس وأن هذا الأمر سيؤمن سواحل إسبانيا من القراصنة الذين يريدون خلق الشتويش ولما أقبل ديكو دوفيرا أنزل نحو سبعة ألاف جندي تصدى له بربروس من جهة بينما هجم عليه الأعراب من جهة أخرى فهزمه و أسر معظم رجاله (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 307).

وذكر مارمول التحرشات الاسبانية على أهم سواحل وموانئ المغرب الأوسط ففي عام (1506م) قام الدون ديكو بمهاجمة المرسى الكبير بواسطول شارك فيه عدد كبير من النبلاء؛ وقد حاصر وقاتلها بشدة ودافع المسلمون عنها وردوا على النصارى بمدفع من حديد ولكنهم هزموا وقبلوا الاستسلام فخرجوا بنسائهم وأولادهم تاركين المدينة مفتوحة للنصارى ولكن المسلمين عادوا للدفاع عن مدينتهم ورجعوا منتصرين إلى وهران (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 327).

وفي نص آخر يوضح مارمول أسباب حملة الإسبان على مدينة الجزائر؛ وهي من أشهر الحملات الاسبانية على سواحل المغرب الأوسط بحيث شارك فيها الملك الاسباني شارلكان بنفسه فيقول "بعد أن تمّ لشارلكان الاستيلاء على مدينة تونس عزم على تطهير الساحل الإفريقي كله من القراصنة الأتراك ولا سيما أتراك مدينة الجزائر الذين كانوا يلحقون الأضرار بالمسيحية، تملكته كراهية مقدسة لأنه يرى العدد الكبير من أسرى النصارى عند أولئك الكفار وأراد أن يحضر قتالهم بنفسهم (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 365)، وقبل وصول الحملة بيومين أي 18 أكتوبر 1541م، هبت زوبعة شديدة على الساحل ولم يكن هيجان البحر قد سكت وأن كانت الرياح قد نقصت قوتها، إلا أنه كان سببا في عدم التمكن من النزول إلى البحر فورا وكان سببا في فشل هذا الهجوم الذي كان مضمون النجاح لولا ذلك الواقع (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 366)، واستنادا إلى توضيحات مارمول عن هذه الغزوة يمكننا لمس التحيز إلى سلطته الوصية فنراه يحصر فشل الحملة في الزوبعة وهيجان البحر دون ذكر أية مقاومة من طرف مدينة الجزائر وهو بهذا الأمر يريد أن يظهر قوة ملكه وأسطوله الاسباني على حساب ضعف الأسطول الجزائري .

ب. الإستنجاد بالإخوة بربروس::

إذا كانت إسبانيا قامت بدور لا يستهان به في تقليص نفوذ الدولة الزيانية أقوى كيان بالمغرب الأوسط وإحتلت أهم المدن الساحلية والموانئ، فإن الإخوة بربروس كان حلمهم إقامة دولة قوية تمكنهم من مواجهة الخطر الصليبي الإسباني الذي لا يتم إلا بالقضاء على التشتت الذي سهل مهمة الإسبان في السيطرة على موانئ المغرب الأوسط ويقول مارمول في هذا الصدد "بعد مقتل عروج من قبل الإسبان دخلت الدولة الزيانية مرحلة جديدة في علاقاتها بالعثمانيين في الجزائر وهو ما جعل خير الدين يربط مصير الجزائر (المغرب الأوسط) بالخلافة العثمانية" (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 307)، إذن يعتبر دخول الإخوة بربروس لتلمسان أول سقوط للدولة الزّيانية في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي.

وبتحليل رأي مارمول فإنه يعتبر الاستنجاد بالإخوة بربروس سببا في سقوط الدولة الزيانية واضطراب الأوضاع بالمغرب الاوسط في حين يرى المؤرخون عكس ذلك، فالاستنجاد بالإخوة بربروس كان نتيجة الضغط الذي مارسه الإسبان على الإمارات المستقلة من الدولة الزيانية كمدينة الجزائر (حساني، 2009، صفحة 131)، ،وأن الإخوة بربروس لم يأتيا لهذه البلاد كغزاة كما تصفهم الدراسات الغربية بل وجودهم كان رغبة في الجهاد والقضاء على التفرقة ببلاد المغرب الأوسط (بوعزيز ، 2007، صفحة 82)، وهو ما يؤكده خير الدين بربروس في مذكراته "قتل أخي عروج" مائة إسباني قبل أن يسقط شهيدا، أما أخي الأكبر إسحاق فقد استشهد قبله ببضعة أشهر في قلعة من القلاع" (بربوس، 2010، صفحة 92)، ،فوصف خير الدين إخوته بالشهداء دليل على نواياهم الجهادية ضد النصارى بالمنطقة .

5. صورة مجتمع المغرب الأوسط عند مارمول كاربخال في كتابه إفريقيا:

أ. عناصر المجتمع: من خلال ما كتبه مارمول يمكننا إستنتاج تنوع في العناصر المشكلة للمجتمع بالمغرب الأوسط فنجد العنصر البربري، العرب، الأتراك، الأندلسيون ومجموعة من الجاليات الأجنبية اليهود والنصارى.

1)البربر: هي كلمة تطلق على شعوب شمال إفريقيا وكان أول من إستعمل هذا الأسم هم الرومان وقد نعتوا كل الشعوب الخارجية عن حضارتهم (شهي، 2013، صفحة 5)، وحسب مارمول يعد البربر أهم عنصر سكاني داخل المغرب الأوسط وقد ضم قبائل متعددة منها قبيلة زناتة التي سكنت مملكة تلمسان (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 307)، ويصفهم مارمول فيقول (هم شجعان شرفاء) ويضيف (ومن عاداتهم الدخول في خصومات ونزاعات حول السلطة مما سبب التقاتل الشديد بينهم عندما لا يتهددهم عدو من الخارج، وإذا طرق بابهم عدو من غير أهلهم اجتمع شملهم واتحدوا لمقاومته) (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 351).

ويذكر مارمول زواوة الشرسين الذين سكنوا جبل بني عباس وكانوا من أعظم المقاتلين الشجعان بإفريقيا وكانت علاقتهم جد ودية مع الأتراك (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 385)؛ وقد ركز مارمول عند ذكره للبربر على قبيلة زناتة بالدرجة الأولى وهذا لاعتبارها قبيلة سياسية حكمت المغرب الأوسط خلال تلك الفترة.

2)العرب: لقد كان العرب من العناصر الأساسية المشكلة لمجتمع المغرب الأوسط بعد البربر السكان الأصليين حسب ما ذكره مارمول، قد وفد العرب إلى البلاد كفاتحين بهدف نشر الإسلام.

وقد ذكر مارمول أن العرب بالمغرب الأوسط استقروا على مراحل وأول فروعهم هي المسماة قبيلة السكاكين أو أولاد حداج وتضم مجموعة من العمارات (الفروع) منهم أولاد عمران، أولاد دلاج الذين ينتقلون بين الجزائر وبجاية وتلمسان، أولاد صبيح على حدود تلمسان إلى غاية الصحراء (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 102)، وقد تميز هذا الفرع بالميول للحرب، لكن هناك تعقيب من طرف المترجمين المغاربة للكتاب حول إسم سلالة السكاكين حيث قالوا أنه محرف ولا شك (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 100).

أما الفرع الثاني من عرب المغرب الأوسط هي عرب بني هلال الذين قدموا إلى المغرب الإسلامي بتوجيه من الفاطميين في مصر (حساني، 2009، صفحة 47)، واستقروا في مناطق كثيرة بالمغرب (فيلالي ، 2002، صفحة 173) ب، وقد ضمت عرب بني هلال مجموعة من القبائل أبرزها بنو عامر القاطنة بين تلمسان ووهران وأولاد عروة القاطنون على حدود مستغانم، وأولاد عقبة على حدود مليانة الذين نعتهم باللصوص القساة (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 103).

إن ما غلب على ذكر بني هلال من قبل مارمول هو الوصف بالشدة وخوض الحروب وحمل السلاح واللصوصية وقطع الطرق والوحشية يقول (هم قوم متوحشون من كبار اللصوص القساة يعيشون في اضطراب دائم) (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 104)، وهذا ما أشار إليه الدكتور علاوة عمارة أن دخول الهلالين إلى المغرب الأوسط كانت له نتائج تمثلت في إشاعة الفوضى وتعريب المنطقة واغتصاب الأراضي (عمارة، 2007، صفحة 13).

الفرع الثالث من قبائل العرب التي تطرق إليه مارمول في كتابه هي قبيلة المعقل التي استوطنت المغرب خاصة منطقة الصحراء (منصور ، 1968، صفحة 414)، وتضم عدة بطون متفرعة منهم أولاد المنبهي بالصحراء وأولاد الثعالبة بإقليم الجزائر وسهول متيجة، وأولاد السويد بين مستغانم ونهر الشلف (منصور ، 1968، صفحة 415).

من خلال ما جاء في كتاب إفريقيا عن قبائل المعقل نلاحظ الفرق بين صفات بني هلال والمعقل الذين وصفهم مارمول بالشجاعة والنباهة والثراء، وهو ما ذهب إليه الدكتور عبد الوهاب منصور حين قال انّ عرب المعقل اشتهروا باحترام أنفسهم وعدم انتهاك حرمة الناس (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 104).

ما ميز العلاقة بين القبائل العربية والبربرية حسب مارمول هو النزاع والصراع الدائم والتقاتل حول أقاليم المغرب الأوسط، وهو ما يؤكده بقوله ما ميز زناتة وبني هلال هو الغارات والحروب (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 351).

3)الأندلسيين: عرف المغرب الأوسط توافد العديد من الأسر الأندلسية، خصوصا في فترة الأزمات السياسية للأندلس (فيلالي ، 2002، صفحة 173)، ،وبداية ضعف المسلمين في الأندلس وتوسع النصارى على حساب المراكز الإسلامية مثل قرطبة التي سقطت سنة 633هـ/ 1235م (حساني، 2009، صفحة 77)؛ وهو ما رجحه القلقشندي في أنّ سبب هجرة الأندلسيين إلى تلمسان هو أن هذه الأخيرة تشبه مدن الأندلس في مياهها وبساتينها وصنائعها (القلقشندي ، 1922، صفحة 436).

ومن خلال الكتاب وصف مارمول الأندلسيين بالشهامة والحذق والعناية بالزراعة خاصة الكروم، الزيتون، التوت وقد أشار إلى أنهم استقروا بالمدن الساحلية حيث ذكر " قام بعضهم ببناء القلعة والدور بشرشال حتى إنك تجد اليوم بهذه المدينة أكثر من خمسة آلاف دار " (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 356)، كما كتب فصلا بعنوان القل مدينة المهاجرين الأندلسيين والتي استقبلت أكثر من ثلاثمائة من مسلمي قشتالة والأندلس وبلنسية وقد اهتموا بأشجار البرتقال والليمون ومختلف الفواكه (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 362).

4) الاتراك:

إنّ أول إشارة عن الأتراك من قبل مارمول في كتاب إفريقيا هو تواجدهم بتلمسان إذ قال "احتلال بربروس لتلمسان"، وهذا لنظرته المقيتة للأتراك، ثم أضاف ذهب عروج يستولي على باقي المدن بعد أن استولى على تلمسان وارتكب فيها الأعمال الوحشية (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 300)، إلى أنه انهزم أمام القائد الإسباني مارتين داركوط ومات بتلمسان لينصب أخوه خير الدين مكانه والذي دانت له مملكة تلمسان وهزم الإسبان وبدأ عهد جديد للأتراك بالمغرب الأوسط.

كذلك من خلال الكتاب يذكر مارمول أن الأتراك غلب عليهم الاهتمام بالجانب العسكري فكل إقليم يكون ضمن نفوذهم إلا وبه حامية تركية إضافة إلى الأهمية المقدمة للجيش الإنكشاري والاستعداد الدائم لخوض المعارك.

يشير مارمول إلى علاقة الأتراك بالعرب والبربر التي غلب عليها الصراع والنزاع حول الأقاليم فكل مدينة يستولي عليها الأتراك إلا ويقيمون عليها حامية تركية عسكرية ويكتفون بفرض الإتاوات والتأكد من ولاء هذه القبائل مثلما حدث مع جبل بني عباس الذي ثار على الأتراك (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 386).

إن ما يأخذ على مارمول في ذكره للأتراك هو النظرة العدائية لهم ووصفهم بأصحاب الأعمال الوحشية والإستيلاء على المنطقة والنهب وإفتعال المعارك إذ قال الأتراك طغاة مستبدين أكثر مما هم سادة مالكون (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 384)؛ وهذا كونه رجل عسكري إسباني معادي للأتراك ومحارب لهم يرى فيهم العدو الأول بالمنطقة.

5)الجاليات الأجنبية: وهي فئات إجتماعية إستقرت بالمغرب الأوسط وذكرها مارمول في كتاب إفريقيا، تصنف على أساس ديني سواء النصارى أو اليهود:

أ) النصارى:

ارتبط ذكر النصارى عند مارمول باحتلال سواحل وهران والمرسى الكبير وتلمسان وبجاية فالتواجد النصراني بالمغرب الأوسط إلا وتطرق إليه ذكر معه الحصار مثل حصار دييكودي فيرا والدون بيدري دي نابار والصراع مع الإخوة بربروس (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 298).

ب) اليهود:

لقد وجدت الطائفة اليهودية قبل الفتح الإسلامي منذ العهد القديم فقد جاؤوا مع الفينيقيين في موجات متعاقبة، وكانت أبرز حركات هجرتهم من الأندلس هي تلك التي وقعت في سنة 633هـ/ 1236م؛ لما سقطت قرطبة (سعد الله، 2010، صفحة 67)؛ وهذا ما يذكره مارمول عن اليهود إذ أكد على أنهم نزحوا من الأندلس بعدما طردوا منها (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 163).

ب. طبقات مجتمع المغرب الأوسط:

بعد تطرقنا إلى عناصر المجتمع التي ذكرها مارمول في كتاب إفريقيا نواصل دراسة البنية الاجتماعية بالمغرب الأوسط من خلال الكتاب لمعرفة طبقات المجتمع وطوائفه.

قام مارمول في كتاب إفريقيا بتقسيم مجتمع المغرب الأوسط إلى ثلاث طبقات ميزت المنطقة وهي:

1) طبقة التجار: وصفهم مارمول بأنهم أناس طيبون معتزون بالنظام وحسن التدبير (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 300)، وطبقة التجار بوهران وأرزيو التي تميزت بالتعامل مع الإسبان (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 349).

2) طبقة الصناع: ثاني طبقة ذكرها مارمول هي طبقة الصناع الذين وصفهم بالبساطة والإتقان (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 300)، تميزوا بالتنوع في الصناعة عبر مناطق المغرب الأوسط، فأشار لهم بتلمسان حيث قال عنهم أنهم يتميزون بالقناعة وإتقان صناعة الأقمصة والزرابي والمعاطف وطقوم الخيل، أما في وهران تميزوا بالصناعة النسيجية مثل طبقة الصناع بمستغانم (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 350).

3) طبقة النبلاء والمحاربين: يصفهم مارمول بالوجاهة والشجاعة وهم من يرافقون الملك، لهم عدة امتيازات وإعفاءات من الرواتب الحسنة التي تسمح لهم أن يعيشوا عيشة راضية، كما أنهم يتولون المهام الرئيسية في قصر وبلاط الملك، وقد ذكر مارمول أن هذه الطبقة قد بدأت تتلاشى في عهد الأتراك لأن الأتراك ليس لهم جهاز حكم ملكي ويقول أنهم عديمو الثقة بالسكان، فكل حرس الحاكم التركي من الأتراك والإسلاميين، فاستبعدت هذه الطبقة أكثر منم أي وقت مضى في عهد الأتراك وبقيت بعض بقايا هذه الطبقة بالصحراء مثل منطقة توقرت وتيكورارين التي مكثت فيها طبقة المحاربين والنبلاء (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 300).

ج. عادات وتقاليد مجتمع المغرب الأوسط:

ذكر مارمول كاربخال من خلال كتاب إفريقيا بعض عادات وتقاليد سكان المغرب الأوسط فيما يتعلق بالاحتفالات والأفراح الولائم الألبسة والأعراف.

1)الأعياد والاعراس: ربط أعياد وأعراس وولائم المغرب الأوسط على شاكلة ما يقام بمملكة فاس (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 300)؛ وأهم ما ميز عادات مجتمع المغرب الأوسط حسب مارمول هو الاهتمام بالمناسبات الدينية؛ وخاصة صلاة الجمعة حيث يقول (كان ملوك تلمسان يعيشون بأبهة كبيرة ويظهرون يوم الجمعة للتوجه للجامع في موكب يضم كل موظفي الدولة) (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 301)

2) اللباس: تكلم مارمول عن لباس أهل المغرب الأوسط، و أول ما وصفه بأنه يتميز بالأناقة في المظهر، بل أضاف أنه كان أكثر جمالية من لباس أهل فاس..، كان لباسهم من الدرجة الأولى من المنسوجات الصوفية، القطنية، والحريرية خاصة بحواضر المغرب الأوسط مثل تلمسان، مازونة، مستغانم، قسنطينة، عنابة، بجاية، إضافة إلى إنتشار لباس الجلد بمدن مثل عنابة والمدية (كاربخال، كتاب إفريقيا، 1984، صفحة 300).

6. خاتمة:

وفي خاتمة هذا العمل؛ يتضح لنا من خلال التعريف بشخصية مارمول كاربخال أنه يعد من بين المؤرخين والجغرافيين الذين تركوا بصمتهم خلال القرن 10هـ/ 16م؛ وذلك من خلال ما خلفه لنا من مصادر نفيسة تؤرخ لإفريقيا والمغرب الإسلامي والمغرب الأوسط خاصة، والتي من بينها كتاب إفريقيا الذي يكتسي أهمية كبيرة لأي باحث وركيزة في صياغة تاريخ المغرب الأوسط الذي لا يمكن الاستغناء عنه وعن محتوياته؛ كما أنّ كتاب إفريقيا يساهم في إثراء فترة مهمة من تاريخ المغرب الأوسط وتوصيل الحلقات التاريخية التي تغافلت عنها المصادر الأخرى وتجسيد دور همزة الوصل لتاريخ منطقة المغرب الإسلامي وجغرافيتها مما يسهل على الباحث فهم الأحداث التاريخية وإدراك تأثير جغرافية المكان عليها، كما يعكس الكتاب نظرة مختلفة عن نظرة أبناء المنطقة لتاريخهم، فهذه نظرة لمدرسة أجنبية متعصبة للأفكار البابوية جعلت منه نموذجا للغربيين والمصادر الأجنبية التي لها قيمتها العلمية والتاريخية.

7. المصادر والمراجع:

1) أبو العباس أحمد القلقشندي . (1922). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. مصر: دار الكتب المصرية.
2) أحمد بن جلون. (1996). تطوان خلال القرنين 16م-17م. منشورات مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي، 167.
3) أسماء بلالي . (2017). التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 16م. مجلة روافد للبحوث و الدراسات، 8.
4) إسماعيل العربي. (1972). بجاية من خلال النصوص الغربية. مجلة الاصالة، 74.
5) الحسن الوزان. (1983). وصف إفريقيا. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
6) بسام العسلي . (1986). خير الدين بربروس. بيروت: دار النفائس.
7) خير الدين بربوس. (2010). مذكرات خير الدين بربروس . الجزائر: شركة الأصالة للنشر.
8) روبين هارت. (1988). تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير . بنغازي : منشورات جامعة قار يونس.
9) سالم بوتدارة . (2016). الصحراء الجزائرية في كتابات مارمول كاربخال. مجلة الحوار المتوسطي، 7.
10) عبد الرحمن ابن خلدون. (1968). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
11) عبد العزيز شهبي. (2013). تاريخ المغرب الإسلامي. الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
12) عبد العزيز فيلالي . (2002). تلمسان في العهد الزياني. الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.
13) عبد المجيد قدور . (2003). الهجرة الاندلسية الى بلاد المغرب ونتائجها الاجتماعية والحضارية. مجلة العلوم الانسانية، 172.
14) عبد الوهاب منصور . (1968). قبائل المغرب. الرباط: المطبعة الملكية.
15) عبدالقادر فكاير. (2012). العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية. مجلة كان التاريخية، 25.
16) علاوة عمارة. (2007). دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الاسلامي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
17) علي محمد حمدي . (1913). الاكتشافات الجغرافية من القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر. القاهرة: المطبعة الجمالية.
18) فوزي سعد الله. (2010). يهود الجزائر (مجالس الغناء والطرب). الجزائر: دار قرطبة.
19) لوي كارديناك. (1983). الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون(1492-1640). تونس: مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل.

20) مارمول كاربخال. (1984). كتاب إفريقيا. الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة.
21) مارمول كاربخال. (2012). وقائع ثورة الموريسكيين. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
22) مارمول كاربخال. (2013). تاريخ ثورة وعقاب اندلسي مملكة غرناطة. تطوان: جمعية تطوان اسمير.
23) محمد علي قطب. (1987). مذابح وجرائم محاكم التفتيشفي الأندلس. بيروت: دار القلم.
24) مختار حساني. (2009). تاريخ الدولة الزيانية(الاحوال السياسية). الجزائر: منشورات الحضارة.
25) ويليام سبنسر. (1980). الجزائر في عهد رياس البحر. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.
26) يحي بوعزيز . (2007). تلمسان عاصمة المغرب الاوسط. الجزائر: وزارة الثقافة.